

تنمية الشعور بالرقابة الإلهية من خلال شهر الله

السنة السادسة عشرة
العدد ٨٩٨ - ٢٩ / شعبان / ١٤٣١ هـ
الموافق ١٠ / آب / ٢٠١٠ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- حضور الله في حياتنا وتنمية الشعور بالرقابة الإلهية.
- أثر حضور الله في حياتنا.
- كيف نشعر بالرقابة الإلهية في حياتنا؟
- فرصة شهر رمضان المبارك وتنمية الشعور بالرقابة الإلهية.

الهدف: التعرف على عناصر تنمية الشعور بالرقابة الإلهية.

تصدير الموضوع:

وقال رسول الله ﷺ لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر، هذا شهر رمضان، من صام نهاره، وقام وزداً من ليله، وعفّ بطنه وفرّجّه، وكفّ لسانه، خرج من ذنوبه كخروجه من الشهر. فقال جابر: يا رسول الله، ما أحسن هذا الحديث! فقال رسول الله ﷺ: يا جابر، وما أشدّ هذه الشروط! (١)

(١) الكافي للكليني ٤/ ٨٧/ ح ٢. باب أدب الصائم.

١- لقاء الله وتنمية الشعور بالرقابة الإلهية:

لا يوجد كمال للإنسان أجل وأرفع من لقاء الله سبحانه وتعالى، وهو من أسمى مقامات الإنسانية الشامخة. ولا سعادة أكبر للمؤمن من التقرب إلى الله تعالى صاحب الكمال المحض، والقدرة اللا محدودة، والعلم المطلق،

ولا راحة أعلى من اليقين بأن الإنسان لا محالة راجع إلى ربّ ودود رحيم. وقد بشر عز وجل المؤمنين بلاقائه فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (١). ووعد الذين يرجون لقاءه بأن لهم ما يأملون: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لِهِ لَاتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٢).

٢- حضور الله في حياتنا وتنمية الشعور بالرقابة الإلهية:

لقاء الله تعالى على نحوين، لقاء في الدنيا ولقاء في يوم القيامة، وكلامنا هنا يتمحور حول لقاء الله في الدنيا. وليس المقصود بلقاء الحق تعالى اللقاء الحسي ورؤيته تعالى بالبصر المادي، لأن الله تعالى ليس بجسم، ولا يحده مكان، ولا يرى بالعين، فإنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (٣) بل المراد به اللقاء المعنوي، بمعنى حضوره تعالى الدائم في حياتنا، وعدم الغفلة عنه أبداً، والتوجه إليه باستمرار، ومشاهدة آياته وآثار قدرته تعالى في كل شيء. فلا نعبد غيره، ولا ندعو سواه، ولا نطلب حوائجنا إلا منه. فالإنسان عندما يدرك أن الله تعالى خالقه، ومالك كل شيء، وبيده الأمر كله، وهوفي السماء إله وفي الأرض إله، وهو رب العالمين، فمن الطبيعي

أن يتوجه إليه بالعبودية له والتسليم. وكيف لا يكون ذلك وهو تعالى معه أينما ولّي وجهه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٤).

٣- أثر حضور الله في حياتنا:

إذا أدرك الإنسان أنه في محضر الله تقدّست ذاته، وأنه مطلع على جميع حركاته وسكناته، فلن يقوم بالأعمال التي لا ترضي الله، ولن يعصيه أبداً. بل سوف يسعى دائماً لأن يجعل كل أعماله موافقة لإرادته تعالى وخالصة لوجهه سبحانه. فالله تعالى يرى ويشاهد أعمال الإنسان، وليس هو وحده وإنما رسوله ﷺ والمعصومون عليهم السلام شاهدون على أفعالنا أيضاً ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٥). وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْمَالُ الْعِبَادِ كُلِّ صَبَاحٍ أَبْرَارِهَا وَفَجَّارِهَا فَاحْذَرُوهَا وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾، وسكت» (٦).

وعندما سُئل عليه السلام عن «المؤمنون» في الآية الكريمة قال عليه السلام: «هم الأئمة» (٧).

فإذا أدرك الإنسان هذه الحقيقة

(٤) الحديد: ٤

(٥) التوبة: ١٠٥

(٦) الكافي: ج ١، ص ٢١٩

(٧) نفس المصدر السابق

(١) البقرة: ٢٢٢

(٢) العنكبوت: ٥

(٣) الأنعام: ١٠٣

إليه يصعد الكلم الطيب

الصادق عليه السلام: «إِنَّمَا فَرَضَ اللَّهُ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ عَلَى الْإِنْبِيَاءِ دُونَ الْأُمَمِ، فَفَضَّلَ اللَّهُ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ، وَجَعَلَ صِيَامَهُ فَرَضاً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَعَلَى أُمَّتِهِ»^(٤).

– الاستفادة من خيرات وبركات شهر الله: قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فَاجْهَدُوا أَنْفُسَكُمْ؛ فَإِنَّ فِيهِ تَقْسِمُ الْأَرْزَاقِ، وَتُكْتَبُ الْأَجَالُ، وَفِيهِ يُكْتَبُ وَفْدُ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْدُونَ إِلَيْهِ، وَفِيهِ لَيْلَةُ الْعَمَلِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ فِي أَلْفِ شَهْرٍ»^(٥).

– شهر تثبيت الإخلاص: قالت مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام: «فَرَضَ اللَّهُ الصِّيَامَ تَثْبِيثاً لِلْإِخْلَاصِ»^(٦).

– شهر الصيام زكاة: قال رسول الله ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْأَبْدَانِ الصِّيَامُ»^(٧).

– التطوع بالصلاة والذكر: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَطَوَّعَ فِيهِ بِصَلَاةٍ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَدَّى فَرَضاً كَانَ لَهُ ثَوَابٌ مِّنْ أَدَّى سَبْعِينَ فَرِيضَةً فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الشُّهُورِ، وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ ثَقُلَ اللَّهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخْفَ الْمَوَازِينُ، وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ»^(٨).

(٤) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ٦٢:٢.

(٥) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٩٦:٢٧٥.

(٦) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٩٦:٣٦٨.

(٧) بحار الأنوار للشيخ المجلسي ٩٦:٢٤٦.

(٨) وسائل الشيعة للحر العاملي ٤:٢٢٧. كتاب الصوم.

الدائمة والحساب المستمر هما اللذان يوصلان الإنسان إلى المكان الذي لا ينظر فيه إلا إلى الله. وبيّن القرآن الكريم هذين الأصلين في سورة الحشر المباركة بقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْتَظِرْ نَفْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَعْدٍ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^(١). فهذه الآية تدعونا إلى أصليين أخلاقيين، الأول المراقبة والثاني المحاسبة. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَحَاسِبُوا وَوَازِنُوها قَبْلَ أَنْ تَوَازِنُوا حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَعْمَالِها وَطَالِبُوها بِأَدَاءِ الْمَفْرُوضِ عَلَيْها وَالأَخْذِ مِنْ فَنَائِها لِبَقَائِها»^(٢).

٥- فرصة شهر رمضان المبارك وتنمية الشعور بالرقابة الإلهية:

أ- أفضل الأعمال في شهر رمضان: سأل أمير المؤمنين علي عليه السلام رسول الله ﷺ: «مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَأَجَابَهُ ﷺ: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ الْوَرَعُ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ»، فالورع عن محارم الله إضافة إلى ترك جميع أنواع المحرمات والمخالفات الشرعية، يحتاج – ولا سيما في شهر الله – إلى معرفة خصائص شهر رمضان المبارك وأسراره وأهمها:

– أنه شهر القرآن والهداية: قال الله تعالى: «... شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ»^(٣).

– التكريم بالتكليف: قال الإمام

(١) الحشر: ١٨.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١٢، ص ١٥٤.

(٣) سورة البقرة: ١٨٥.

عندها سوف يسعى لاجتناب المعاصي وفعل الصالحات. أما إذا لم يطلع الإنسان على أصل أن «الله معه» دائماً، وظن أنه غائب عنه، فإنه سوف يفرق بالغفلة، وسوف يتهاون في أداء الأعمال الواجبة عليه، ولن يهتم باجتناب المحرمات. بخلاف ما إذا أدرك أن الله تعالى محيط به ووجد نفسه دائماً في مشهده ومحضره، فإنه يسعى لأداء كل الأعمال طبق الإرادة الإلهية. وهذه الأعمال التي تؤدي وفق إرادة الله هي أعمال مقربة إلى الله، كالصلاة مثلاً التي هي «قربان كل تقي». وإذا وصل الإنسان إلى هذا الحد فاعتقد أن الله ناظر إلى أعماله، راعى الخلوص أيضاً في كل أعماله. فهو من جهة يؤدي الأعمال بحسب أوامر الله، ومن ناحية ثانية يكون مخلصاً في القيام بأعمال البر والخير. وهذه منزلة رفيعة يصل إليها الإنسان وهي متيسرة للجميع، فما أخسر الذين يبيعون أنفسهم للدنيا وهم مدعوون للوصول إلى هذا المقام الرفيع.

٤- كيف نشعر بالرقابة الإلهية في حياتنا؟

إذا كان كمال الإنسان وسعادته الحقيقية تكمن في التقرب إلى الله وصيرورته عند الله كما هو حال الشهداء، فإن تحقق ذلك إنما يكون من خلال أمرين أساسيين هما: المراقبة والمحاسبة. فالإنسان إذا أدرك أنه في محضر الله لا بد له من مراقبة أعماله والانتباه لتصرفاته من جهة، ومن جهة أخرى عليه أن يحاسب نفسه باستمرار. فالمراقبة